• اختلاف اللّهجات العربية :

اللّهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللّغوية التى تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللّهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللّغوية .

وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللّغة ، فالعلاقة بين اللّغة واللّهجة هى العلاقة بين العام والخاص ، فاللّغة تشتمل على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللّهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللّغوية التى تُؤلّف لغة مستقلة عن غيرها من اللّغات .

ويُعَبِّر القدماء عما نسميه الآن باللّهجة بكلمة « اللّغة » كثيراً ، فيشير أصحاب المعاجم إلى لُغة تميم ولغة طيئ ولغة هذيل ، وهم يريدون بذلك ما نعنيه نحن الآن بكلمة « اللّهجة » وقد يُعَبِّرون بكلمة « اللّسان » وهو التعبير القرآنى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (١) .

والفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتى فى غالب الأحيان ، فيروى لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون فى « فزت » « فزد » ، كما يُروَى أن « الأجلح » وهو الأصلع ، ينطق بها « الأجله » عند بني سعد .

وتشترك لهجات اللّغة الواحدة فى الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها (٢) .

واللّغة العربية هى لُغة جزيرة العرب ،. ولكن القبائل العربية المتعددة كان لكل قبيلة منها منازلها ، ولها كيانها المستقل الذى يعزلها عن غيرها بما لها من

---

(١) إبراهيم : ٤

(٢) انظر كتاب « فى اللّهجات العربية » للدكتور ابراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة ص ١٦ - ١٨

عادات وتقاليد تنمو وتتطور ، فأدى هذا إلى نشأة اللُّهجات العربية التى تتميز كل منها بصفات خاصة .

وقد ذكر الدكتور شوقى ضيف كثيراً من اللُّهجات ، فمن ذلك الكشكشة والكسكسة ، وهما تخصان ضمير المخاطبة ، إذ كان بعض تميم وأسد يلحقون بكاف المخاطبة شيئاً فى الوقف ، وفى الوصل أحياناً ، فيقولون : رأيتكش وعليكش وبكش ، وكانت بعض قبائل ربيعة تلحق السين بدل الشين ، فتقول : رأيتكس وعليكس وبكس ، وكان منهم مَن يحذف الكاف ويضع مكانها الشين أو السين .

ومن ذلك العنعنة ، وهى فى تميم وبعض قيس وأسد ، إذ يجعلون الهمزة عيناً في بعض الكلمات ، فيلفظون « استعدى » بدلاً من « استأدى » ويلفظون « أعدى » بدلاً من « آدى » [1] ، وكان هناك مَن يقول : « دأنى » عوضاً عن « دعنى » ، ومَن يلفظ « لعل » : « لأن » بإبدال اللام أيضاً نوناً ، وقالوا بدلا من « أن وإن » : « عَن وعِن » .

وتقرب من العنعنة الفحفحة ، وكانت في هذيل ، إذ تبدل الحاء عيناً ، فيقولون فى « حتى » : « عتى » ، وهذه اللُّهجات جميعاً كانت تشيع فى بعض القبائل الشمالية المضرية ، ومثلها التضجع ، وهو الإمالة ، إذ كانت تميم وقيس وأسد تميل إلى إمالة الألف ، وكان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يميلون ...

وقد نسب اللُّغويون إلى قبائل مُضرية وأُخرى قحطانية ما سموه الاستنطاء ، إذ كانت قبائل هذيل وقيس والأزد والأنصار فى يثرب تبدل العين نوناً فى مثل « أعطى » فتقول : « أنطى » ...

وهناك لهجات نسبها اللُّغويون إلى القحطانيين ، من ذلك التلتلة فى قضاعة وبهراء ، إذ يكسرون الفعل المضارع فيقولون : « تِعلمون وتِكتبون وتِنجحون » .

---

(١) آدى فلان إيداءً : قوى ، وآدى للأمر : أخذ أداته واستعد له ، وآدى فلاناً على كذا : قوّاه عليه وأعانه (المعجم الوسيط ١ / ١٠) .

ومن ذلك العجعجة فى قضاعة ، إذ يجعلون الياء المشددة جيماً ، فيقولون : « تميمج » فى « تميمى » .

ونسب الرواة إلى قبيلة كلب اليمنية ما سموه الوهم ، وهو كسر الهاء فى ضمير الغائبين وإن لم يكن قبلها ياء ولا كسرة فيقولون : « منهِم وعنهِم وبينهِم » .

واشتهرت حمير وأهل اليمن وبعض عشائر طيئ بالطمطمانية ، وهى إبدال لام التعريف ميماً ، فيقولون فى « السهم والبر والصيام » : « امسهم وامبر وامصيام » ، فيعرفون بالألف والميم .

ويُنسب إلى بعض الحميريين أنهم كانوا يجعلون السين تاء فى بعض الكلمات ، فيقولون : بـ « النات » بدل « الناس » .

وكانت هناك فروق بين التميميين والحجازيين ، فكان التميميون يدغمون الحرف الثانى فى الثالث فى أمر مثل « رد » ، بينما كان يفك الحجازيون الإدغام فيقولون : « اردد » ، ومما اشتهر بينهما من فروق إهمال « ما » عند التميميين فى نحو : ما زيد قائم ، وإعمالها عند الحجازيين فيقولون : ما زيد قائماً ، ومن ذلك أيضاً أن الحجازيين كانوا يجرون « هَلُمَّ » مجرى أسماء الأفعال مثل « صه » فيلزمونها طريقاً واحداً فى مخاطبة المفرد والمفردة والاثنين والاثنتين والجماعتين ، فيقولون : هَلُمَّ يارجل ، وهَلُمَّ يا امرأة ، وهَلُمَّ يارجلان ، وهَلُمَّ يا امرأتان ، وهَلُمَّ يارجال ، وهَلُمَّ يانساء ، أما التميميون فكانوا يجرونها مجرى الأفعال ، فيقولون : هلم وهلمى وهلما وهلموا وهلممن يانسوة ، وبلغة الحجاز نزل القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ (١) .

وتلك اللّهجات صار منها ما هو مقبول وحُجَّة ، ومنها ما تدنى عن هذا المستوى وهجره الذوق العربى .

---

(١) انظر كتاب « العصر الجاهلى » ص ١٢١ - ١٣١ - ط . دار المعارف بمصر - والآية من سورة الأحزاب : ١٨

قال ابن جنى [١] : « باب اختلاف اللُّغات وكلها حُجَّة » اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ، ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أن لُغة التميميين فى ترك إعمال « ما » يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يُؤخذ به ، ويُخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللُّغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية ما لك فى ذلك أن تتخير إحداهما ، فتقويها على أُختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنساً بها ، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا ، أوَ لا ترى إلى قول النبى ﷺ : « نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ » .

هذا حكم اللُّغتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين ، أو كالمتراسلتين .

فأما أن تقل إحداهما جداً وتكثر الأُخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياساً ...

حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن [٢] ، عن أبي العباس أحمد بن يحى ثعلب قال :

ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم [٣] ، وكشكشة ربيعة [٤] ،

---

(١) عثمان بن جنى الموصلى أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو ، من كتبه « المحتسب فى شواذ القراءات » ، و « الخصائص فى اللُّغة » - توفى سنة ٣٩٢ هـ (وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٦) .

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم ، وهو من القرَّاء ، وكان راوية ثعلب ، توفى سنة ٣٥٥ هـ ، ويروى ابن جنى عنه أخبار ثعلب وعلمه (بغية الوعاة ص ٣٦) .

(٣) عنعنة تميم ، ينطقون الهمزة عيناً فيقولون فى « أن » : « عن » كما سبق .

(٤) كشكشة ربيعة : يجعلون الشين مكان الكاف فى خطاب المؤنث ، فيقولون : « عليك » : « عليش » أو يزيدون بعد الكاف شيناً فيقولون : « عليكش » فى الوقف .

وكسكسة هوازن [١] ، وتضجع قيس [٢] ، وعجر فيه ضبه [٣] ، وتلتلة بهراء [٤] ، [٥] .

ومعظم الاختلاف - كما ترى - كان يرجع إلى الاختلاف فى إبدال الحروف ، أو فى الحركات ، أو فى الإمالة والتفخيم ، أو فى الإدغام والفك ، أو فى الإعراب ، وهذا النمط من الاختلاف ليس فيه تباين كلى لما فيه من التقارب .

ويقل الاختلاف فى اللَّفظ مع اتفاق المعنى : « كالعِهن ، والصوف » حيث توجد لغتان أو أكثر من اللُّغات الفصيحة .

وبمرور الزمن وتوافر عوامل الوحدة صارت مكة وما حولها ملتقى للقبائل العربية ، إذ يفدون إليها للحج الذى كان معروفاً فى الجاهلية قبل الإسلام ، كما يفدون إليها للتجارة ، ويعقدون المناظرات والمساجلات فى الشعر والخطابة بأسواقهم التى اشتهر منها : « عكاظ » وهو السوق العامة عند العرب ، وكانت تُعقد حول مكة فى أوائل شهر ذى القعدة ، وكانت سوق « مجنة » تُعقد بعدها فى أواخر هذا الشهر ، ثم تُعقد سوق « ذو المجاز » فى أوائل شهر ذى الحجة .

وكان الشعراء والخطباء يحرصون على أن يتحدثوا بلُغة خالية من فوارق الأصوات اللُّغوية ، وينتقون الألفاظ ، ويختارون العبارات ، فمهَّدَ هذا لوحدة لغوية راقية ، حيث انسابت جداول الفصاحة العربية وانتهى مصبها فى لغة قريش ، فصارت بذلك أفصح العرب ، وبلسانها كان نزول القرآن ابتداءً على

---

(١) كسكسة هوازن ، يزيدون بعد كاف ضمير المؤنث سيناً ، فيقولون فى « منك وعنك » : « منكس و عنكس » فى الوقف .

(٢) الإضجاع فى باب الحركات مثل الإمالة والخفض (لسان العرب مادة : ضجع) .

(٣) قال ابن سيدة : وعجر فيه ضبه : أراها تقعرهم فى الكلام (لسان العرب مادة : عجرف) .

(٤) تلتلة بهراء : يقولون : تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون - بكسر أوائل الحروف .

(٥) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ٢ / ١٠ - ١١ ، ط . دار الهدى ببيروت .

الرسول العربى القرشى ، وتوجّه الخطاب إلى قومه القرشيين أول الأمر : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (١) ، حتى يكون هذا أدعى لقوة البيان فى البلاغ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلَّا بلسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

* * *

• اختلاف العلماء فى وجود كلمات فى القرآن بغير العربية :

وما قيل من أن القرآن اشتمل على كلمات أعجمية غير عربية فإنه مع نُدرته موضع خلاف بين العلماء .

١ - فقيل : إن فى القرآن الكريم كلمات بغير العربية ، وهى كلمات محدودة ، وهذا القول يرجع إلى ما جاء من آثار عن بعض الصحابة والتابعين فسّروا فيها كلمات بغير العربية .

فمن ذلك : ﴿ الطُّور ﴾ : جبل بالسريانية - ﴿ طَفِقًا ﴾ (٤) : أى قصدا بالرومية - القسط والقسطاس : العدل بالرومية - ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٥) : تُبْنَا بالعبرانية - الرقيم : اللّوح بالرومية - المُهل : عكر الزيت بلسان أهل المغرب - السندس : الرقيق من السِتر بالهندية - الاستبرق : الغليظ من الديباج بالفارسية - السرى : النهر الصغير باليونانية - طه : يا رجل بالعبرانية - يصهر : أى ينضج بلسان أهل المغرب - سينين : الحسن بالنبطيّة - المشكاة : الكوّة بالحبشية ، وقيل : الزجاجة تُسرج - الدُرِّى : المضيئ بالحبشية - الأليم : المؤلم بالعبرانية - ﴿ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ (٦) : أى نضجه بلسان أهل المغرب - ﴿ المِلَّةِ الآخِرَةِ ﴾ (٧) : أى الأولى بالقبطية ، والقبط يسمون الآخرة : الأولى ،

---

(١) الشعراء : ٢١٤ (٢) إبراهيم : ٤ (٣) يوسف : ٢
(٤) الأعراف : ٢٢ ، طه : ١٢١ (٥) الأعراف : ١٥٦ (٦) الأحزاب : ٥٣
(٧) سورة ص : ٧

والأولى : الآخرة - ﴿ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [1] : أى أمامهم بالقبطية - اليَّم : البحر بالقبطية - بطائنها : ظواهرها بالقبطية - الأبُّ : الحشيش بلغة أهل المغرب - ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [2] : قال ابن عباس : نشأ بلغة الحبشة : قام من الليل - ﴿ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ [3] ، قال أبو موسى الأشعرى [4] رضى الله عنه : « ضعفين » بلغة الحبشة - القَسْوَرة : الأسد بلغة الحبشة [5] .

ويُنسب هذا الرأى إلى ابن عباس ، وتلاميذه : مجاهد [6] ، وسعيد بن جبير [7] ، وعكرمة [8] ، وعطاء [9] ، وآخرين من الصحابة والتابعين فيما رُوِىَ عنهم فى كتب التفسير بالأثر .

وذكر السيوطى سوى هذه الكلمات كلمات أخرى أورد روايات فى تفسيرها عن ابن أبى حاتم [10] ، وابن جرير ، والثعالبى [11] ، وآخرين من علماء اللُّغة منها :

---

(١) الكهف : ٧٩ (٢) المزمل : ٦ (٣) الحديد : ٢٨

(٤) أبو موسى الأشعرى ، واسمه عبد الله بن قيس ، مشهور باسمه وكنيته ، وبكنيته أكثر ، استعمله عمر على البصرة ، ثم عثمان على الكوفة - ت . ٥ هـ (الإصابة ٢ / ٣٥١) .

(٥) البرهان ١ / ٢٨٨ - ٢٨٩

(٦) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى ، تابعى مفسر - ت ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/٤٢) .

(٧) سعيد بن جبير الأسدى بالولاء ، الكوفى تابعى من العلماء الفضلاء ، قتله الحجاج لموالاته عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث - ت ٩٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ١١) .

(٨) عِكرمة بن عبد الله البربرى المدنى مولى عبد الله بن عباس ، كان من أعلم الناس بالتفسير - ت ١٠٥ هـ (تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣) .

(٩) عطاء بن أبى رباح ، أسلم بن صفوان تابعى من أجلاء الفقهاء - ت ١١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٧ / ١٩٩) .

(١٠) ابن أبى حاتم : عبد الرحمن بن محمد الرازى ، الحافظ المحدث ، من تصانيفه: « الجرح والتعديل » و « التفسير » و « علل الحديث » - ت ٣٢٧ هـ (الأعلام ٤ / ٩٩) .

(١١) الثعالبى : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبى ، من أئمة اللُّغة والأدب ، من كتبه : « يتيمة الدهر » و « فقه اللغة » - ت ٤٢٩ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٢٩) .

أباريق : جمع إبريق ، والإبريق بالفارسية طريق الماء ، أو صب الماء على هينة - الأرائك : السُرُر بالحبشية - أسفار : هى الكتب بالسريانية ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحّاك [١] قال : هى الكتب بالنبطية - أكواب : أخرج ابن جرير عن الضحّاك أنها بالنبطية ، وأنها جرار ليست لها عرى - أوّاه : أخرج أبو الشيخ [٢] من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : الأوّاة : الموقن بلسان الحبشة ، وأخرج ابن أبى حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة .

الجبت : أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : الجبت : اسم الشيطان بالحبشية ، وأخرج عبد بن حميد [٣] عن عكرمة قال : الجبت بلسان الحبشة : الشيطان - حصب : أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [٤] . قال : حطب جهنم بالزنجية - ربانيون : قال أبو عبيدة [٥] : العرب لا تعرف الربانيين ، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم ، قال : وأحسب الكلمة ليست بعربية ، وإنما هى عبرانية أو سريانية .

الصراط : حكى النقاش [٦] وابن الجوزى [٧] أنه الطريق بلغة الروم -

---

(١) الضحاك بن مزاحم البلخى الخراسانى المفسر - ت ١٠٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣) .

(٢) أبو الشيخ : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان الأصبهانى أبو الشيخ محدث حافظ ، مفسر ، من تصانيفه : « التفسير » و « طبقات المحدثين بأصبهان » - ت ٣٦٩ هـ (معجم المؤلفين ٦ / ١١٤) .

(٣) عبد بن حميد بن نصر الكَسى « نسبة إلى كَس - مدينة قرب سمرقند » من حفاظ الحديث ، من كتبه : « مسند كبير » و « تفسير » (الأعلام ٤ / ٤١) .

(٤) الأنبياء : ٩٨

(٥) أبو عبيدة : معمر بن المثنى التيمى بالولاء البصرى أبو عبيدة النحوى من أئمة العلم بالأدب واللُغة ، من كتبه : « مجاز القرآن » - ت ٢٠٩ هـ (وفيات الأعيان ٢ / ١٠٥) .

(٦) النقاش : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش ، عالِم بالقرآن وتفسيره ، من تصانيفه : « شفاء الصدور فى التفسير » و « الإشارة فى غريب القرآن » - ت ٣٥١ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٤٨٩ ، وغاية النهاية ٢ / ١١٩) .

(٧) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى أبو الفرج ، محدث ، حافظ ، مفسر ، فقيه ، واعظ ، أديب ، مؤرخ ، مشارك فى أنواع أخرى من العلوم ، من تصانيفه : =

قنطار : ذكر الثعالبى فى فقه اللُّغة أنه بالرومية : اثنتا عشر ألف أوقية ، وقال الخليل [١] : زعموا أنه بالسريانية : ملء جلد ثور ذهباً أو فضة ، وقال ابن قتيبة : قيل : إنه ثمانية آلاف مثقال بلغة أهل إفريقية ، وفى المحتسب لابن جنى [٢] : السجل : الكتاب ، قال قوم : هو فارسى معرَّب - ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [٣] : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : هَيْت لك : هَلُمَّ لك بالقبطية ، وقال الحسن [٤] : هى بالسريانية كذلك ، أخرجه ابن جرير ، وقال عكرمة : هى بالحورانية كذلك ، أخرجه أبو الشيخ ، وقال أبو زيد الأنصارى [٥] : هى بالعِبرانية ، وأصله : هينلج ، أى تعاله - طوبى : أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ، قال : طوبى : اسم الجنة بالحبشية ، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : بالهندية - طور : أخرج الفريابى [٦] عن مجاهد قال : الطور : الجبل

= « زاد المسير فى علم التفسير » و « الوجوه والنظائر » و « تلبيس إبليس » و « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » - ت ٥٩٧ هـ (وفيات الأعيان ١/٢٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/٨٣) .

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى من أئمة اللُّغة والأدب ، وواضع علم العروض ، من كتبه : « العين » و « تفسير حروف اللُّغة » و « معانى الحروف » ، وكتاب « العروض » - ت ١٧٠ هـ (وفيات الأعيان ١ / ١٧٢ ، وانباه الرواة ١ / ٣٤١) .

(٢) ابن جنى : عثمان بن جنى الموصلى أبو الفتح ، من أئمة الأدب والنحو ، من تصانيفه : « المحتسب » فى شواذ القراءات و « الخصائص » فى اللُّغة - ت ٣٩٢ هـ (الأعلام ٤/٣٦٤) .

(٣) يوسف : ٢٣

(٤) الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة فى زمنه - ت ١١٠ هـ (تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣) .

(٥) أبو زيد الأنصارى ، سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، أحد أئمة الأدب واللُّغة ، من أهل البصرة ، ومن ثقات اللُّغويين ، من تصانيفه : « لغات القرآن » و « النوادر » فى اللُّغة - ت ٢١٥ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٣٠٧ ، وانباه الرواة ٢ / ٣٠ - ٣٥) .

(٦) الفريابى : محمد بن يوسف بن واقد الضبى بالولاء ، التركى الأصل أبو عبد اللّه الفريابى ، عالم بالحديث ، من الحفاظ ، روى عنه البخارى ٢٦ حديثاً ، وله « مسند » فى الحديث - ت ٢١٢ هـ (تهذيب التهذيب) .

بالسريانية ، وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحّاك أنه بالنبطية - غساق : قال الجواليقى [١] ، والواسطى [٢] : هو البارد المنتن بلسان الترك ، وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن بريدة [٣] ، قال : الغساق : النتن - صلوات ، قال الجواليقى : هى بالعبرانية كنائس اليهود ، وأصلها صلوتا ، وأخرج ابن أبى حاتم نحوه عن الضحّاك - مرجان : حكى الجواليقى عن بعض أهل اللُّغة أنه أعجمى - مسك : ذكر الثعالبى أنه فارسى - مزجاة : قال الواسطى : مزجاة : قليلة بلسان العجم ، وقيل : بلسان القبط - اليهود : قال الجواليقى : أعجمى مُعَرَّب ، منسوبون إلى يهوذ بن يعقوب ، فعُرِّب بإهمال الدال [٤] .

وأجاب أصحاب هذا الرأى عن قوله تعالى : ﴿ بلسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [٦] ... ونحو ذلك ، بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تُخرجه عن كونه عربياً ، كما أن القصيدة الفارسية لا تخرج عن كونها فارسية بوجود لفظة فيها عربية .

وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [٧] ، بأن المعنى من السياق : أكلام أعجمى ومخاطَب عربى ؟ على وجه الإنكار ، والكلمات النادرة لا تجعله أعجمياً .

---

(١) الجواليقى : موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور بن الجواليقى ، عالم بالأدب واللُّغة ، من كتبه : « المعرب » فيما تكلمت له العرب من الكلام الأعجمى ، و « شرح أدب الكاتب » - ت ٥٤٠ هـ (وفيات الأعيان ٢ / ١٤٢) .

(٢) الواسطى : القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور أبو محمد الواسطى عالم بالعربية ، من كتبه : « شرح اللمع » لابن جنى - ت ٦٢٦ هـ (بغية الوعاة ٣٨٠) .

(٣) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى أبو سهل المروزى قاضى مرو ، روى عن أبيه ونفر من الصحابة ، وروى عنه جماعة ، وهو من الثقات - ت ١١٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٥٧/٥) .

(٤) انظر الإتقان ٢ / ١٧٨ - ١٨٤

(٥) الشعراء : ١٩٥ (٦) يوسف : ٢ (٧) فصلت : ٤٤

٢ - وذهب الإمام الشافعي [١] وأبو عبيدة ، وابن جرير ، وابن فارس وآخرون إلى أنه لم يقع فى القرآن شئ بغير العربية [٢] .

يقول الشافعي : « ومن جماع علم كتاب اللّه العلم بأن جميع كتاب اللّه إنما نزل بلسان العرب » [٣] ، ثم يقول : « فالواجب على العالَمين أن لا يقولوا إلَّا من حيث علموا ، وقد تكلَّم فى العلم مَن لو أمسك عن بعض ما تكلَّم فيه منه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء اللّه ، فقال منهم قائل : إن فى القرآن عربياً وأعجمياً ، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب اللّه شئ إلَّا بلسان العرب » [٤] .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس : إنما أُنزِلَ القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومَن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول ، قال : ومعناه أتى بأمر عظيم ، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلُغات لا يعرفونها ، وفى ذلك ما فيه [٥] .

وأجاب ابن جرير الطبرى عن الكلمات التى قال فيها ابن عباس وغيره إنها أعجمية بأنها من الكلمات التى تواردت فى عدة لُغات فى العربية وغير العربية ، ولا يدل نطق الأعاجم بها على أن العرب اقتبسوها منهم ، كما أنهم

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُنَّة ، من كتبه : « الأم » فى الفقه ، و « الرسالة » فى أصول الفقه - ت ٢٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥) .

(٢) انظر الإتقان ١ / ١٧٨

(٣) الرسالة بتحقيق أحمد شاكر ، ص ٤٠

(٤) المرجع السابق ص ٤١ - ٤٢

(٥) البرهان ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨

لم يقتبسوها من العرب ، ولا مانع من أن تتفق لُغتان أو أكثر فى بعض الألفاظ ، وليس إدعاء أُمة بأنها لُغتها أولى من إدعاء أُمة أُخرى ، ولم يقل أحد ممن فَسَّرَ هذه الكلمات فى القرآن بغير العربية ، أنها ليست من كلام العرب .

يقول ابن جرير : « إن الذى قالوه من ذلك غير خارج عن معنى ما قلنا ، من أجل أنهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك لها منطقاً قبل نزول القرآن ... وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا ، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا ، ولِمَ تستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأُمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك - مما يتعب إحصاؤه ، ويمل تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره - مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللَّفظ والمعنى ، ولعل ذلك كذلك فى سائر الألسن التى نجهل منطقها ولا نعرف كلامها » [1] .

ثم قال : « وهذا المعنى الذى قلناه فى ذلك هو معنى قول مَن قال : « فى القرآن من كل لسان » [2] ، عندنا بمعنى - واللّه أعلم - أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأُمم التى تنطق بها ... فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن بعض القرآن فارسى لا عربى ، وبعضه نبطى لا عربى ، وبعضه رومى لا عربى ، وبعضه حبشى لا عربى ، بعد ما أخبرَ اللّه تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآناً عربياً » [3] .

---

(١) تفسير الطبرى ١ / ١٤ - ١٥

(٢) روى هذا ابن جرير عن أبى ميسرة قال : « فى القرآن من كل لسان » ، المرجع السابق ١٤/١ - وأبو ميسرة : هو عمرو بن شرحبيل الهمدانى الثقة المخضرم أبو ميسرة الكوفى - ت ٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ٨ / ٤٧) .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٧ - ١٨

٣ - وذهب ابن عطية إلى أن فى القرآن ألفاظاً أعجمية استعملها العرب بالمخالطة مع غيرهم ، وشاع استعمالها حتى صار كسائر الألفاظ عند العربى ، فأصبحت بعد تعريبها عربية .

وهذا الذى ذهب إليه ابن عطية يجمع بين الرأيين السابقين ، وهو الذى يترجح لدىّ ، وتميل إليه نفسى .

يقول ابن عطية : « والذى أقوله : إن القاعدة والعقيدة هى أن القرآن نزل بلسان عربى مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلاّ من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة ، بتجارات ، وبرحلتى قريش ، وبسفر مسافر بن : أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس [١] ، إلى الشام ، وسفر عمر ابن الخطاب [٢] ، وكسفر عمرو بن العاص [٣] ، وعمارة بن الوليد [٤] ، إلى

---

(١) مسافر بن أبى عمرو (واسمه ذكوان) ابن أمية بن عبد شمس : شاعر ، من سادات بنى أمية وأجوادهم فى الجاهلية ، وفد على النعمان بن المنذر فأكرمه وجعله فى خاصة ندمائه - توفى نحو ١٠ ق هـ (الأعلام ٨ / ١٠٤) .

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، أبو حفص ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول مَن لُقِّبَ بأمير المؤمنين ، احترف التجارة فى الجاهلية ، وكان يختلف فيها إلى الشام ، ثم دُعِىَ إلى الشام بعد فتحها ، ولكنه رجع قبل دخولها بسبب الطاعون - ت ٢٣ هـ (تاريخ الإسلام السياسى ١ / ٢٠٨ وما بعدها) .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، أبو عبد الله ، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم ، أوفدته قريش فى الجاهلية مع عبد الله بن أبى ربيعة وعمارة إلى النجاشى فى طلب المهاجرين إلى الحبشة ، ثم كان أحد رجال الفتح الإسلامى للشام - ت ٤٣ هـ (السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٦) .

(٤) عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، حين عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه لهم . مشوا إليه بعمارة ليأخذه عوضاً ويدفع إليهم محمداً ليقتلوه فأبى ، وهو أحد الذي أرسلتهم قريش إلى النجاشى فى طلب المهاجرين إلى الحبشة ، وكان من أمره أنه أصيب بعقله وهلك . (انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٥ ، ٣٥٧ ، والإصابة ٣ / ١٧٠) .

أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى [1] إلى الحيرة ، وصحبته لنصاراها مع كونه حُجَّة فى اللُّغة ، فعلقت (هوت وأحبت) العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية ، غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الصريح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فإن جهلها عربى ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعرَّبتها فهى عربية بهذا الوجه » .

ثم رد على الطبرى فقال : « وما ذهب إليه الطبرى من أن اللُّغتين اتفقتا فى لفظة فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل ، والأخرى فرع فى الأكثر ، لأنَّا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً » [2] .

وحكى ابن فارس عن أبى عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف فى ذلك ، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء ، والمنع إلى أهل العربية ، ثم قال أبو عبيدة : « والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فعرَّبتها بألسنتها ، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمَن قال إنها عربية فهو صادق ، ومَن قال أعجمية فصادق » .. قال : « وإنما فسر هذا لئلا يقدم أحد على

---

(١) الأعشى : ميمون بن قيس الوائلى أبو بصير ، أحد أصحاب المعلَّقات ، كان يعد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية فى شعره ، ولقب بالأعشى لضعف بصره ، وعمى فى آخر عمره - ت ٧ هـ (الأعلام ٨ / - ٣٠) .

(٢) المحرر الوجيز ١ / ٣٦ - ٣٧

الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أراده اللّه عَزَّ وجَلَّ فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن » .

قال ابن فارس : « وليس كل مَن خالف قائلاً فى مقالته ينسبه إلى الجهل ، فقد اختلف الصدر الأول فى تأويل آى من القرآن » .

قال : « فالقول إذن ما قاله أبو عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره » [1] .

* * *

(١) البرهان ١ / ٢٩٠

obeikandl.com

نزول القرآن على سبعة أحرف

اتضح لنا فيما ذكرنا من قبل اختلاف اللَّهجات العربية ، وأنها قد تسمى باللُّغات ، وما كان بين كل لهجة وأخرى من فوارق ، منها ما اشتهر وفشا استعماله ، ومنها ما لم يكن كذلك ، وتبيَّن أنه كان للعرب لهجات شَتَّى ، تنبع من طبيعة فِطرتهم ، فى جرسها وأصواتها وحروفها ، تعرضت لها كتب الأدب واللُّغة بالبيان والمقارنة ، فكل قبيلة لها من اللَّحن فى كثير من الكلمات ما ليس للآخرين ، ولكن قريشاً من بين العرب قد تهيأت لها عوامل جعلت للغتها الصدارة بين فروع العربية الأخرى ، من جوار البيت ، وسِقاية الحاج ، وعِمارة المسجد الحرام ، والإشراف على التجارة ، فأنزلها العرب جميعاً لهذه الخصائص وغيرها منزلة الأُم للغاتهم ، فكان طبيعياً أن يتنزل القرآن بلغة قريش على الرسول ﷺ القرشى تأليفاً للعرب ، وتحقيقاً لإعجاز القرآن حين يسقط فى أيديهم أن يأتوا بمثله ، أو بسورة منه .

وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم فى المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت ، فالقرآن الذى أوحى الله به لرسوله محمد ﷺ يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً بحروفه وأوجه قراءته للخالص منها ، وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم .

● درجة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

صَحَّ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من عدة طرق فى الصِحاح وفى كتب السُنَّة .

فرواه جمع كثير من الصحابة منهم : أُبَىّ بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وابن عباس ،

وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن أبى سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبو بكرة [١] ، وأبو جهم [٢] ، وأبو سعيد الخدرى [٣] ، وأبو طلحة الأنصارى [٤] ، وأبو هريرة ، وأبو أيوب [٥] ، قال السيوطى فى الإتقان بعد أن عدَّهم : فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً » [٦] .

وأخرج أبو يعلى فى مسنده الكبير [٧] ، أن عثمان رضى اللّه عنه قال يوماً وهو على المنبر : « أُذكِّر اللّه رجلاً سمع النبى ﷺ قال : « إن القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ » لما قام » ، فقاموا حتى لم يُحصوا ، فشهدوا أن رسول اللّه ﷺ قال : « أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ » فقال عثمان رضى اللّه عنه : « وأنا أشهد معهم » [٨] .

---

(١) اسمه : نفيع بن الحارث الثقفى - تقريب التهذيب لابن حجر ، ط . المكتبة العلمية بالمدينة ٢/١ . ٤

(٢) هو أبو جهم بن حذيفة القرشى العدوى ، اسمه عامر على الراجح ، الإصابة لابن حجر ، ط . مصطفى محمد ٤ / ٣٥

(٣) اسمه : سعد بن مالك ، التقريب ٢ / ٤٢٨

(٤) اسمه : زيد بن سهل ، الإصابة ٤ / ١١٤

(٥) اسمه خالد بن زيد الأنصارى ، التقريب ٢ / ٣٩٣

(٦) الإتقان ١ / ٤٥ مكتبة ومطبعة الحلبى بمصر ، والسيوطى : هو عبد الرحمن بن أبى بكر ابن محمد السيوطى جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ ، أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنَّف - ت ٩١١ هـ (الأعلام ، خير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية ٤ / ٧١) .

(٧) أحمد بن على بن المثنى التميمى الموصلى - أبو يعلى ، حافظ ، من علماء الحديث ، ثقة مشهور ، نعته الذهبى بمحدث الموصل ، له فى الحديث مسندان : كبير وصغير - ت ٣٠٧ هـ (الأعلام ١ / ١٦٤) .

(٨) النشـــر فى القراءات العشـــر لابن الجزرى - تصحيح على محمد الصباغ ١ / ٢١ ، ط . مصطفى محمد . والإتقان ١ / ٤٥

وهذه الرواية تدل على شهادة الجمع الكثير الذى لا يُحصى بهذا الحديث ، وأن هذا الجمع لم يكن من الصحابة وحدهم ، بل كان من الصحابة والتابعين ، إذ يترجح فى عهد عثمان أن يكون الحاضرون من الصحابة والتابعين معاً ، وهذا يعنى أن رواية العدد الكثير الذى يؤمَن تواطؤه على الكذب لحديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » ليست قاصرة على طبقة الصحابة .

لذا نقل السيوطى عن أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) القول بتواتر هذا الحديث [١] ، وعده السيوطى نفسه فى « التدريب » من الأحاديث المتواترة [٢] .

ولا خلاف فى صحة الحديث ، فقد رواه البخارى ومسلم وابن حبان والحاكم من طرق كثيرة ، وأخرجه أبو داود والنسائى والترمذي وأحمد وابن جرير الطبرى والطبرانى بألفاظ متعددة .

والحديث بهذا على مذهب ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن - ت ٦٤٣ هـ) يفيد العلم اليقينى النظرى ، فقد عدَّ أقسام الحديث الصحيح قائلاً : « فأولها : صحيح أخرجه البخارى ومسلم جميعاً ، الثانى : صحيح انفرد به البخارى ، أى عن مسلم ، الثالث : صحيح انفرد به مسلم ، أى عن البخارى ، الرابع : صحيح على شرطهما لم يخرجاه ، الخامس : صحيح على شرط البخارى لم يخرجه ، السادس : صحيح على شرط مسلم لم يخرجه ، السابع : صحيح عند غيرهما وليس على شرط واحد منهما ، هذه أمهات أقسامه ، وأعلاها الأول ، وهو الذى يقول فيه أهل الحديث كثيراً : « صحيح متفق عليه » يطلقون ذلك ويعنون به

---

(١) الإتقان ١ / ٤٥

(٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للسيوطى - تحقيق محمود عبد اللطيف ط . المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ص ٣٧٤

اتفاق البخارى ومسلم [١] . لا اتفاق الأُمة عليه ، لكن اتفاق الأُمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه ، لاتفاق الأُمة على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول .

وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقينى النظرى واقع به ، خلافاً لقول مَن نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد فى أصله إلا الظن ، وإنما تلقته الأُمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطئ .

وقد كنتُ أميل إلى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لى أن المذهب الذى اخترناه أولاً هو الصحيح ، لأن ظن مَن هو معصوم من الخطأ لا يُخطئ ، والأُمة فى إجماعها معصومة من الخطأ ، ولهذا كان الإجماع المبتنى على الاجتهاد حُجَّة مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك [٢] .

فالحديث المتفَق على صحته يفيد العلم اليقينى النظرى عند ابن الصلاح ، وحديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » متفق على صحته ، فهو يفيد العلم اليقينى النظرى ، وإن لم نقل : إن الحديث متواتر ، فكلاهما يفيد العلم اليقينى ، والفرق بينهما فى إفادة العلم ، أن المتواتر يفيد العلم اليقينى الضرورى الذى يضطر الإنسان إليه دون حاجة إلى استدلال ، أما المتفَق على صحته فإنه يفيد العلم اليقينى النظرى الذى يحصل بالاستدلال ، فالعلم الضرورى يحصل لكل سامع وإن كان عامياً ، أما النظرى فإنه لا يحصل إلا لمن له أهلية النظر [٣] .

وبهذا كان حديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » مفيداً للعلم اليقينى النظرى

---

(١) اصطلاح ابن تيمية الجد - عبد السلام بن عبد الله ، مجد الدين (ت ٦٥٢ هـ) فى كتابه « منتقى الأخبار » أن المتفق عليه : هو ما رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) علوم الحديث لأبى عمرو بن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن بن موسى (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق نور الدين عتر - المكتبة العلمية ص ٢٣ - ٢٤

(٣) انظر « على القارى على شرح نخبة الفكر فى مصطلحات أهل الأثر لابن حجر » طبعة الباب العالى العثمانية ص ٢٦ - ٢٨

وإن كان حديث آحاد ، والأصل فى الآحاد بأقسامه باعتبار طرقه : المشهور ، والعزيز ، والغريب [1] ، أنه يفيد الظن .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى - أحمد بن على بن محمد (ت ٨٥٢ هـ) أن الآحاد يفيد العلم النظرى إذا احتفت به قرائن ، والمحتف بالقرائن أنواع ، منها : ما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما مما لم يبلغ حد المتواتر - كما ذكر ابن الصلاح - فإنه احتف به قرائن : منها جلالتهما فى هذا الشأن ، وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما ، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول - وهذا التلقى وحده أقوى فى إفادة العلم ... ومنها : المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل ... ومنها : الحديث المسلسل بالأئمة الحفّاظ المتقنين حيث لا يكون غريباً [2] .

* * *

• طائفة من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

١ - أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذى ومالك فى الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « سمعتُ هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فى حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعتُ لقراءته ، فإذ هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره فى الصلاة [3] ،

---

(١) الحديث المتواتر : هو ما رواه عدد كثير يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه واستندوا إلى أمر محسوس ، وحديث الآحاد : هو مالم يجمع شروط التواتر ، والمشهور : هو ما رواه ثلاثة فأكثر فى كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر ، والعزيز : هو الذى لا يقل رواته عن اثنين فى جميع طبقات السند - والغريب : هو ما ينفرد بروايته راوٍ واحد فى موضع أو أكثر من السند .

(٢) انظر : نزهة النظر بشرح نخبة الفكر ص ١٤ - ١٥ - المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

(٣) أساوره : أواثبه وآخذ برأسه ، ومعناه : أغالبه .

فتربصتُ حتى سلَّمَ ، فلببته بردائه [1] ، فقلت : مَن أقرأكَ هذه السورة التى سمعتُك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت : كذبتَ ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ؛ إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ : « أرْسِله ، اقرأ يا هشام » ، فقرأ عليه القراءة التى كنت سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلتَ » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرأ يا عمر » فقرأتُ القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزِلَت ، إن هذا القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسَّر منه » .

٢ - وأخرج مسلم والترمذي وأبو داود والنسائى عن أُبَىٍّ بن كعب رضى الله عنه - واللَّفظ لمسلم - قال : « إن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار [2] ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : أسألُ الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا » .

وفى رواية أبى داود : « ليس منها إلا شافٍ كافٍ ، إن قلتَ : سميعاً عليماً ، عزيزاً حكيماً ، ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب » .

---

(١) فلببته بردائه : جمعت الرداء فى موضع لبته - أى فى عنقه - وأمسكته وجذبته به .

(٢) الأضاة : الماء المستنقع من سيل أو غيره ، أو الغدير الصغير ، وجمعها : أضى مثل : حصاة وحصى .

وفى رواية للنسائى أن رسول الله ﷺ قال : « يا أُبَىّ ، أُنزِلَ (أى القرآن) على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ » [1] .

وفى رواية عند الترمذي ، قال أُبَىُّ بن كعب : « لقى رسول الله ﷺ جبريل ، فقال : « يا جبريل ؛ بُعِثْتُ إلى أُمة أُميين [2] ، فيهم العجوز والشيخ الكبير ، والغلام والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط » ، فقال : يا محمد ؛ إن القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف » .

قال البغوى فى شرح السُنَّة : وقوله فى حديث : « كلها شافٍ كافٍ » يريد - والله أعلم - أن كل حرف من هذه الأحرف السبعة شافٍ لصدور المؤمنين ، لاتفاقها فى المعنى ، وكونها من عند الله وتنزيله ووحية ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدىً وَشِفَاءٌ ﴾ [3] ، وهو كافٍ فى الحُجَّة على صدق رسول ﷺ لإعجاز نظمه ، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ، والله تعالى أعلم » [4] .

٣ - وأخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأنى جبريل على حرف ، فراجعته ، فزادنى ، فلم أزل أستزيده ، ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » ، قال ابن شهاب : « بلغنى أن تلك

---

(١) شاف كاف : شاف : من الشفاء ، وكاف : من الكفاية .

(٢) أُميين : الأُميون : جمع أُمى ، وهو الذى لا يكتب ، منسوب إلى ما عليه أُمة العرب ، وكانوا لا يكتبون ، وقيل : الأُمى : الذى على أصل ولادة أمه ، لم يتعلم الكتابة ، فهو على جبلته التى ولد عليها .

(٣) فصلت : ٤٤

(٤) شرح السُنَّة للبغوى ٤ / ٥١٢ - ط . المكتب الاسلامى ، والبغوى : هو الحسين بن مسعود ابن محمد الفراء (ت . ٥١٠ هـ) .

السبعة الأحرف ، إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً ، لا يختلف فى حلال ولا حرام » [١] .

٤ - وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص ، عن عمرو ، أن رجلاً قرأ آية من القرآن ، فقال له عمرو : إنما هى كذا وكذا ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « إن هذا القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف ، فأى ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا » [٢] .

٥ - وروى الحاكم وابن حبان بسندهما عن ابن مسعود قال : أقرأنى رسول اللّه ﷺ سورة من آل حم ، فرحتُ إلى المسجد ، فقلت لرجل : اقرأها ، فإذ هو يقرؤها حروفاً ما أقرؤها ، فقال : أقرأنيها رسول اللّه ﷺ ، فانطلقنا إلى رسول اللّه ﷺ فأخبرناه ، فتغيَّر وجهه ، وقال : « إنما أهلكَ من قبلكم الاختلاف »، ثم أسَرَّ إلى علىّ شيئاً ، فقال علىّ : إن رسول اللّه ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم ، قال : فانطلقنا وكل رجل يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه » .

وروى الطبرى والطبرانى عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال : أقرأنى ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت ، وأقرأنيها أُبَىّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول اللّه ﷺ ، وعلىٌّ إلى جنبه ، فقال علىّ : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم ، فإنه حسن جميل » [٣] .

---

(١) قوله فى الحديث : قال ابن شهاب - هو محمد بن مسلم بن عبيد اللّه بن شهاب الزهرى أبو بكر (ت ١٢٤ هـ) وهذا من رواية مسلم فقط ، وانظر :« جامع الأصول فى أحاديث الرسول » لابن الأثير الجزرى - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الحلوانى وآخرين (جـ ٢ ص ٤٧٧- ٤٨٤) .

(٢) أبو قيس : هو عبد الرحمن بن ثابت (ت ٥٤ هـ) كما فى تقريب التهذيب (٢ / ٤٦٤) ، ومارأه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى : شك ، والمرية : الشك والجدل .

(٣) الطبرى - محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) والطبرانى - سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) ، وانظر ما أورده ابن حجر فى فتح البارى (جـ ٩ ص ٢٣) وما بعدها - المطبعة السلفية ومكتبتها .

٦ - وروى ابن أبى شيبة فى « المصنف » وأحمد بن حنبل فى « مسنده » عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه : « أن جبريل قال لرسول الله ﷺ : اقرأ القرآن على حرف ، فقال له ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، ثم قال : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ، كقولك : هَلُمَّ وَتَعَالَ ، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة » [١] .

٧ - وروى البيهقى فى السُنَن الكبرى [٢] ، عن سليمان بن صرد عن أُبَىٍّ بن كعب قال : « قرأتُ آية وقرأ ابن مسعود خلافها ، فأتينا النبى ﷺ فقلت : ألم تُقرئنى آية كذا وكذا ؟ قال : بَلَى ، قال ابن مسعود : ألم تُقرئنيها كذا وكذا ؟ قال : بَلَى ، قال : كلاكما محسن ، قلت : ما كلانا أحسن ولا أجمل ، قال : فضرب صدرى وقال : يا أُبَىُّ ؛ إنى أُقرئت القرآن ، فقيل لى : أعلى حرف أم على حرفين ؟ فقال المَلَك الذى معى : على حرفين ، فقلت : على حرفين ، فقيل لى : أعلى حرفين أم ثلاثة ، فقال المَلَك الذى معى : على ثلاثة ، فقلت : ثلاثة ، حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : ليس فيها إلا شافٍ كافٍ ، قلتَ : غفور رحيم ، عليم حكيم ، سميع عليم ، عزيز حكيم ، نحو هذا ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب » .

قال أبو عبيد : قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا حديثاً واحداً يُروى عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه قال : « أُنزِلَ القرآن على ثلاثة أحرف » قال أبو عبيد : ولا نرى المحفوظ إلا السبعة ، لأنها المشهورة .

---

(١) أبو بكر بن أبى شيبة أحد شيوخ مسلم ، وهو عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥ هـ) ، وعبد الرحمن بن أبى بكرة تابعى ثقة (ت ٩٦ هـ) ، وأبو بكرة هو نفيع بن الحارث بن كلدة أبو بكر الثقفى صحابى - ت . ٥ هـ (تهذيب التهذيب لابن حجر جـ . ١ ص ٤٦٩ دار صادر ، بيروت) .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن على أبو بكر البيهقى من أئمة الحديث له : « السنن الكبرى » ، و « شُعب الإيمان » و « الأسماء والصفات » (ت ٤٥٨ هـ) .

قال أبو شامة [1] : أخرج حديث الثلاثة الحاكم فى مستدركه ، فيجوز أن يكون معناه : أن بعضه أُنزِلَ على ثلاثة أحرف كـ « جَذْوة » [2] ، و « الرَهَب » [3] ، و « الصَدَفين » [4] ، يقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه فى هذه القراءات المشهورة ، أو أراد : أنزِلَ ابتداءً على ثلاثة ، ثم زِيدَ إلى سبعة واللّه أعلم [5] .

وقد عَنِيَ كثير من العلماء بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وتناولوها بالدراسة منذ زمن قديم ، ومنهم : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى (ت ٢٢٤ هـ) فى كتابه « غريب الحديث »، وأبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فى كتابه « تأويل مشكل القرآن »، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت . ٣١ هـ) فى مقدمة تفسيره ، ومكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) فى كتبه « الإبانة عن معانى القراءة » ، وشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة المقدسى (ت ٦٦٥ هـ) فى كتابه « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » .

* * *

---

(١) شهاب الذين بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبى شامة المقدسى (ت ٦٦٥ هـ) .

(٢) فى قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّى آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ (القصص : ٢٩) قرأ حمزة : « أو جُذوة من النار » بضم الجيم ، وقرأ عاصم بالفتح ، وقرأ الباقون من السبعة بالكسر - كتاب التبصرة فى القراءات السبع لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) ص ٤٥٦ ط . الدار السلفية - الهند .

(٣) فى قوله تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ (القصص : ٣٢) قرأ الحرميان وأبو عمر و (الرهب) بفتح الراء والهاء ، وقرأ حفص بفتح الراء واسكان الهاء ، وقرأ الباقون من السبعة بضم الراء وإسكان الهاء - المصدر السابق ص ٤٥٦ - ٤٥٧

(٤) فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ (الكهف : ٩٦) قرأ أبو بكر - راوى عاصم « الصُدْفين » بإسكان الدال وضم الصاد ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بضم الصاد والدال ، وقرأ الباقون بفتحهما جميعاً - المصدر السابق ص ٤١٢

(٥) المرشد الوجيز ص ٨٧ - ٨٨

• معنى الحرف فى اللُّغة :

إذا كان حديث نزول القرآن على سبعة أحرف قطعى الثبوت يفيد العلم اليقينى الضرورى عند مَن ذهب إلى أنه متواتر ، أو العلم اليقينى النظرى عند ابن الصلاح وغيره ، فإنه ظنى الدلالة للإجمال فى الأحرف السبعة ، إذ لا يتعين المراد منها ، وقبل أن نذكر آراء العلماء فى المراد بالأحرف السبعة ، فإنه يجدر بنا أن نعرف معنى الحرف فى اللُّغة ، حتى يساعدنا هذا فى بحث آراء العلماء على التنظير والاختيار .

قال ابن فارس [1]: « الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول : حد الشئ ، والعدول ، وتقدير الشئ » .

فأما الحد ، فحرف كل شئ حده ، كالسيف وغيره ، ومنه الحرف ، وهو الوجه ، تقول : هو من أمره على حرف واحد ، أى طريقة واحدة ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [2] ، أى على وجه واحد ، وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السَّراء والضرَّاء ، فإذا أطاعه عند السرَّاء وعصاه عند الضرَّاء ، فقد عبده على حرف ، ألا تراه قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [3] ...

والأصل الثانى : الانحراف عن الشئ ، يقال : انحرف عنه ينحرف انحرافاً ، وحرفته أنا عنه ، أى عدلتُ به عنه ، ولذلك يقال : محارف ، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه ، وذلك كتحريف الكلام ، وهو عدله عن جهته ، قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّواضِعِهِ ﴾ [4] ، وفى المائدة : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعْدِ مَّواضِعِهِ ﴾ [5] .

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى أبو الحسن من أئمة اللُّغة والأدب - ت ٣٩٥هـ (الأعلام ١ / ١٨٤) .

(٢) الحج : ١١ (٣) الحج : ١١

(٤) النساء : ٤٦ (٥) الآية : ٤١

والأصل الثالث : المحراف : حديدة يُقَدَّر بها الجراحات عند العلاج ... وزعم ناس أن المحارِف من هذا ، كأنه قُدِّرَ عليه رزقه كما تُقَدَّر الجراحة بالمحراف .

ومن هذا الباب : فلان يحرف لعياله ، أى يكسب ، وذلك من حرف واحترف ، أى كسب » (١) .

والذى معنا هنا من الأصل الأول فيما ذكره ابن فارس .

ويقول الراغب فى مفرداته (٢) : « حرف الشئ : طرفه ، وجمعه أحرف وحروف ، يقال : حرف السيف ، وحرف السفينة ، وحرف الجبل ، وحروف الهجاء: أطراف الكلمة » .

وفى القاموس المحيط : « الحرف من كل شئ طرفه ، وواحد حروف التهجى .. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ (٣) أى وجه واحد ، وهو أن يعبده على السرّاء لا الضرّاء ، أو على شك ، أو على غير طمأنينة على أمره ، أى لا يدخل فى الدين متمكناً ، ونزل القرآن على سبعة أحرف : سبع لُغات من لُغات العرب ، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر ، ولكن المعنى : هذه اللُغات السبع متفرقة فى القرآن » .

وفى لسان العرب لابن منظور : « الحرف من حُروف الهجاء ، معروف واحد حروف التهجى ، وكل كلمة تُقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً ، تقول : هذا فى حرف ابن مسعود ، أى فى قراءة ابن مسعود ، قال ابن سيدة (على بن إسماعيل - ت ٤٥٨ هـ) : والحرف : القراءة التى تُقرأ على أوجه ، وما جاء فى الحديث من قوله عليه السلام : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ »

---

(١) معجم مقاييس اللُغة لابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون - جـ ٢ الطبعة الثانية - مطبعة الحلبى ص ٤٢ - ٤٣

(٢) هو الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهانى - أو الأصبهانى - المعروف بالراغب -ت ٥٠٢ هـ (الأعلام ٢ / ٢٧٩).

(٣) الحج : ١١

أراد بالحرف اللُّغة ، قال أبو عبيدة وأبو العباس [1] : نزل على سبع لغات من لغات العرب ، قال : وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم يُسمع به ، قال : ولكن يقول هذه اللُّغات متفرقة فى القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة أهل اليمن ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة هذيل ، وكذلك سائر اللُّغات ومعانيها فى هذا كله واحد ، وقال غيره : وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، على أنه قد جاء فى القرآن ما قد قُرِئَ بسبعة وعشرة ، نحو : « ملك يوم الدين » ، و « عبد الطاغوت » ، ومما يبين ذلك قول ابن مسعود : إنى قد سمعت القَرَأَةَ فوجدتهم متقاربين ، فاقرؤا كما علمتم ، إنما هو كقول أحدكم : هَلُمَ وتَعَالَ وأَقْبِلْ ، قال ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى - ت ٦٠٦ هـ) : وفيه أقوال غير ذلك ، هذا أحسنها ، والحرف فى الأصل : الطرف والجانب ، وبه سمى الحرف من حروف الهجاء [2] .

وروى الأزهرى (محمد بن أحمد بن الأزهر الهروى - ت ٣٧٠ هـ) ، عن أبى العباس أنه سُئِلَ عن قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف » فقال : ما هى إلا لُغات ، قال الأزهرى : فأبو العباس النحوى ، وهو واحد عصره ، قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه ... وإلى هذا أومأ أبو العباس النحوى وأبو بكر بن الأنبارى (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار - ت ٣٢٨ هـ) فى كتاب له ألّفه فى اتباع ما فى المصحف الإمام ، ووافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمى - ت ٣٢٤ هـ) مقرئ أهل

---

(١) المراد به : محمد بن يزيد الأزدى ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٦ هـ) إمام العربية ببغداد فى زمنه (الأعلام ، خير الدين الزركلى - الطبعة الثانية ٨ / ١٥) .

(٢) انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (٣٦٩/١) ، ط . عيسى البابى الحلبى وشركاه .

العراق وغيره من الأثبات المتقنين ، قال : ولا يجوز عندى غير ما قالوا ، والله تعالى يوفقنا للاتباع ، ويجنبنا الابتداع » .

وقال ابن قتيبة : « والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ، وعلى الكلمة الواحدة ، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها ، والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

ألا ترى أنهم يقولون : قال الشاعر كذا فى كلمته ، يعنون : فى قصيدته ، والله جَلَّ وَعز يقول : ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الكُفْرِ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ (٢) ، (٣) .

ويتضح مما ذُكِرَ آنفاً ، أن الحرف يُطلق حقيقة على أحد حروف التهجى ، ويُطلق مجازاً على كلمة من إطلاق الجزء وإرادة الكل ، مجاز مرسل علاقته الجزئية ، لأن الكلمة تتركب من حروف ، أو على اللُّغة ، لأن ألفاظها تتكوَّن من حروف ، أو على وجه من وجوه اللُّغة للاختلاف فى طريقة النطق وكيفيته .

* * *

● آراء العلماء فى المراد بالأحرف السبعة :

ذهبت آراء العلماء فى المراد بالأحرف السبعة مذاهب كثيرة ، وقال ابن العربى (٤) : لم يأت فى معنى هذا السبع نفى ولا أثر ، واختلف الناس فى تعيينها .

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستى (٥) : اختلف الناس فيها على

---

(١) التوبة : ٧٤ (٢) الفتح : ٢٦

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر ، ط . الحلبى ص ٢٧

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلى المالكى - ت ٥٤٣ هـ (الأعلام ٧ / ١٠٦) .

(٥) محمد بن حبان صاحب المسند الصحيح - ت ٣٥٤ هـ (المصدر السابق ٦ / ٣٠٦) .

خمسة وثلاثين قولاً ، وقال : وقفتُ منها على كثير [١] ، ونقل القرطبى (محمد ابن أحمد المفسر - ت ٦٧١ هـ) عنه ذلك فى مقدمة التفسير ، ولكنه لم يذكر منها سوى خمسة فقال : « وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستى ، نذكر منها فى هذا الكتاب خمسة أقوال » [٢] ، وقال المنذرى (عبد العظيم بن عبد القوى - ت ٦٥٦ هـ) أكثرها غير مختار ، وعلّق ابن حجر على ذلك فقال : ولم أقف على كلام ابن حبان فى هذا بعد تتبعى مظانه من صحيحه [٣] .

ولكن السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد - ت ٩١١ هـ) فى « الإتقان » نقل اختلاف العلماء فى معنى حديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » على نحو أربعين قولاً ، وذكر منها خمسة وثلاثين قولاً ، ثم قال : « قال ابن حبان : فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللُغة فى معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وهى أقاويل يشبه بعضها بعضاً ، وكلها محتملة ، ويُحتمل غيرها » [٤] ، وهذا النص يدل على أن السيوطى اطلع على كلام ابن حبان فى كتب من كتبه ، ونقله فى كتابه « الإتقان » .

* * *

● سبب اهتمام العلماء بهذا الموضوع :

وقد اهتم العلماء بهذا الموضوع وعنوا به حتى كثرت فيه الأقوال ، وتعددت الآراء ، واختلفت وجهات النظر ، ويرجع ذلك إلى أمور :

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١ /٢١٢، ط . الحلبى .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٢/١ ، ط . دار التراث العربى - بيروت .

(٣) فتح البارى ٩ / ٢٣ المطبعة السَلفية .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن ١ / ٤٩ ، ط . الحلبى ، وارجع الى كتاب « المرشد الوجيز » لأبى شامة فسترى أقوالاً كثيرة ، وإن لم ترد بترتيب عددى .

الأول : أنه موضوع وثيق الصلة بالقرآن الكريم ، وهو أساس الدين الذى قام عليه أمر الأمة ، ومصدر التشريع الذى تصوغ عليه حياتها ، وكلام اللّه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والنقل المتواتر هو دعامة قطعية ثبوت القرآن .

الثانى : أن الأحاديث الواردة فى نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف مع كثرتها وتعدد رواياتها جاءت مجملة ، لا تكشف عن حقيقة المراد بهذه الأحرف ، ولم يأت نص صحيح صريح يبينها ، فكان الاجتهاد فى تحديد المراد بها مدعاة للاختلاف .

الثالث : أن تخاصم الصحابة فى هذا الأمر وتحاكمهم إلى رسول اللّه ﷺ جاء الجواب عنه برد كل واحد إلى ما قرأ وتصويبه ، ولم تبين الأحاديث الاختلاف الذى كان بين كل قراءة وأُخرى ، وهذا يدل على أن الأمر صار معروفاً لدى الصحابة رضى اللّه عنهم ، فلم يحتاجوا إلى بيان ، ولو خَفِيَ عليهم لسألوا رسول اللّه ﷺ حتى يُبيِّن لهم ، فينبغى البحث لمعرفة ذلك ، وهو الذى حدا العلماء على التعمق فى دراسة أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف رغبة فى ادراك المراد بهذه الأحرف .

الرابع : أن الروايات الواردة فى مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام ، فليس فيها ما يُبَيِّن بجلاء نص الآية أو الكلمة التى وقع الاختلاف فى قراءتها ، ولا نوع الخلاف فى تلك القراءات ، أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يُعزَى إلى تباين اللّهجات فى النطق وطريقة الأداء مع وحدة اللّفظ ، أم كان اختلافاً فى اللّفظ مع وحدة المعنى ؟

وإذا أنعم الباحث النظر فى تلك الآراء التى وردت فى كتب علوم القرآن ، يجد بعضها غير معزو إلى قائله ، وبعضها الآخر استنباطاً بعيد المأخذ ، ومنها آراء كثيرة ذات مضمون واحد أو متقارب وإن تفاوت التعبير عنها ، مما جعل

ابن سعدان النحوى [1] يرى أن الحديث مشكل ، إذ يقول : « معنى قوله ﷺ : « أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف » مشكل لا يُدرى معناه ، لأن العرب تسمى الكلمة المنظومة حرفاً ، وتسمى القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على الحرف المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضاً : المعنى والجهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدَ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [2] ، أى على جهة من الجهات ومعنى من المعانى » [3] .

لذا فإنى سأورد ما كان من تلك الآراء ذا بال ، وأشير إلى ما قاربها من رأى .

الرأى الأول : ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة : سبع لُغات من لُغات العرب فى المعنى الواحد ، على معنى أنه حيث تختلف لُغات العرب فى التعبير عن معنى من المعانى يأتى القرآن مُنَزَّلاً بألفاظ على قدر هذه اللُّغات لهذا المعنى الواحد ، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتى بلفظ واحد أو أكثر ، فهى أوجه سبعة من المعانى المتفقه بألفاظ مختلفة ، بما يُعرف بالاشتراك المعنوى ، أو الترادف اللّفظى نحو : أَقْبِل ، وهَلُمَّ ، وتَعَالَ ، وأَسْرِعْ ، وعَجِّلْ .

---

(١) محمد بن سعدان الضرير الكوفى النحوى المقرئ أبو جعفر ، أخذ القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة - ت ٢٣١ هـ (انظر بُغية الوعاة فى طبقات اللُّغويين والنحاة للسيوطى ص ٤٥ ط . دار المعرفة - بيروت) .

(٢) الحج : ١١ (٣) المرشد الوجيز ص ٩٣

وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة [١] ، وعبد الله بن وهب [٢] ، وابن جرير الطبرى [٣] ، والطحاوى [٤] ، وغيرهم

فالأحرف السبعة أوجه من اللُّغات فى المعنى الواحد ، بألفاظ مختلفة .

ونسب ابن عبد البر [٥] هذا الرأى لأكثر العلماء .

قال أبو عمر : وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبى ﷺ : « أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف » سبع لغات ، وقالوا : هذا لا معنى له ، لأنه

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى ، محدث الحرم المكى ، كان حافظاً ثقة واسع العلم ، قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وقال أحمد : ما رأيت أحداً من الفقهاء أعلم بالقرآن والسُّنَن منه - ت ١٩٨ هـ (تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ / ١١٧ ، ط . دار صادر) .

(٢) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى بالولاء المصرى أبو محمد ، فقيه من الأئمة ، من أصحاب مالك ، كان حافظ ثقة مجتهداً عابداً - ت ١٩٧ هـ (تهذيب التهذيب ٦ / ٧١) .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، صنَّف فى التاريخ والتفسير والحديث والفقه والقراءات - ت . ٣١ هـ (طبقات المفسرين للداودى ٢ / ١٠٦ ، مكتبة وهبة) .

(٤) أحمد بن محمد بن سلامة المصرى الطحاوى الحنفى ، محدث الديار المصرية وفقيهها ، من مصنفاته : اختلاف العلماء ، وأحكام القرآن ، ومعانى الآثار ، وبيان السُّنَّة والجماعة فى العقائد -ت٣٢١ هـ (سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥ / ٢٧ ، ط . مؤسسة الرسالة ، وهدية العارفين للبغدادى ١ / ١٨ ، ط . استانبول) .

(٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى أبو عمر القرطبى المالكى ، الحافظ الفقيه العالم بالقراءات والحديث والأنساب والأخبار ، من مؤلفاته : الاستيعاب فى تراجم الصحابة ، وجامع بيان العلم وفضله ، والمدخل فى القراءات ، والتمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد -ت٤٦٣ هـ (وفيات الأعيان لابن خلكان - بتحقيق د . إحسان عباس ٧ / ٦٦ ، ط . دار الثقافة) .

لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض فى أول الأمر ، لأنه مَن كانت لُغته شيئاً قد جُبِلَ وطُبِعَ عليه وفُطِرَ به لم يُنكر عليه ، وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشى مكى ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لُغته ، كما محال أن يُقرئ رسول الله ﷺ واحداً منهما بغير ما يعرفه من لُغته ، والأحاديث الصِحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا ، وقالوا : إنما معنى السبعة الأحرف سبعة أوجه من المعانى المتفقة المتقاربة بألفاظ مختلفة ، نحو : أَقْبِل ، وتَعَالَ ، وهَلُمَّ ، وعلى هذا أكثر أهل العلم » [1] ثم ذكر الأحاديث فى ذلك .

الرأى الثانى : وقال قوم : إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن ، على معنى أنه فى جملته لا يخرج فى كلماته عن سبع لُغات هى أفصح لُغاتهم ، فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلُغة هذيل ، أو ثقيف ، أو هوازن ، أو كنانة ، أو تميم ، أو اليمن ، فهو يشتمل فى مجموعه على اللُغات السبع .

وهذا الرأى يختلف عن سابقه ، لأنه يعنى أن الأحرف السبعة إنما هى أحرف سبعة متفرقة فى سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة فى كلمة واحدة مع اتفاق المعانى .

---

(١) المرشد الوجيز - ص ١٠٢ ، ١٠٣ - وقد نقل هذا أبو شامة من كتاب ابن عبد البر « التمهيد » .

وإلى هذا ذهب أبو عبيد [١] وثعلب [٢] والزهرى [٣] وآخرون ، واختاره ابن عطية [٤] وصحَّحه البيهقى فى الشُعَب .

قال أبو عبيد فى كتاب « غريب الحديث » : « قوله : سبعة أحرف يعنى سبع لُغات من لُغات العرب ، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم نسمع به قط ، ولكن نقول : هذه اللُّغات السبع متفرقة فى القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه نزل بلغة هوازن ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أهل اليمن وكذلك سائر اللُّغات ، ومعانيها فى هذا كله واحدة » [٥] .

وقال فى كتاب « فضائل القرآن » : « وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه ، هذا شئ غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لُغات متفرقة فى جميع القرآن من لُغات العرب ، فيكون الحرف منها بلُغة قبيلة ، والثانى بلغُة أُخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أُخرى سواهما ، كذلك إلى سبعة ، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض ، وذلك بَيِّنٌ فى أحاديث تترى » .

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى الخراسانى البغدادى ، من كبار العلماء بالقراءات والحديث والفقه والعربية والأخبار (ت ٢٢٤ هـ) من مصنفاته : الأموال ، وغريب الحديث ، وفضائل القرآن (وفيات الأعيان ، لابن خلكان - تحقيق إحسان عباس ٤ / ٦٠ - دار الثقافة - بيروت) .

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس النحوى الشيبانى بالولاء المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين فى النحو واللُّغة (ت ٢٩١ هـ) ، من تصانيفه : مجالس ثعلب ، ومعانى القرآن ، وإعراب القرآن (انباه الرواة على انباه النحاة للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل ، ط . دار الفكر ومؤسسة الثقافة) .

(٣) محمد بن مسلم الزهرى من بنى زهرة من قريش أول من دون الحديث ، تابعى من أهل المدينة - ت ١٢٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٥) .

(٤) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى ، من أهل غرناطة ، مفسِّر فقيه ، من كتبه : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز - ت ٥٤٢ هـ ، (بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٩٥) .

(٥) المرشد الوجيز ص ٩١ - والإتقان ١ / ٤٧

وقال ابن عطية : معنى قول النبى ﷺ : « أُنزلَ القرآن على سبعة أحرف » : أى فيه عبارة سبع قبائل بلُغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز فى اللَّفظ ، ألا ترى أن « فَطَرَ » معناه عند غير قريش ابتدأ . فجاءت فى القرآن فلم تتجه لابن عباس ، حتى اختصم إليه أعرابيان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، قال ابن عباس : ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى : ﴿ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) ، وقال أيضاً : ما كنت أدرى معنى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ ﴾ (٢) حتى سمعتُ بنت ذى يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك ، أى أحاكمك ، وكذلك قال عمر بن الخطاب ، وكان لا يفهم معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ (٣) : أى على تنقص لهم ، وكذلك اتفق لقطبة بن مالك ، إذ سمع النبى ﷺ يقرأ فى الصلاة : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ (٤) ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة الفجر، إلى غير ذلك من الأمثلة » (٥) .

ووردت روايات محتملة للرأيين السابقين : الأول والثانى لما فيها من إجمال .

فعن علىّ بن أبى طالب (٦) ، وابن عباس (٧) ، رضى اللّه عنهما قالا : نزل القرآن بلغة كل حى من أحياء العرب .

---

(١) فاطر : ١ (٢) الأعراف : ٨٩

(٣) النحل : ٤٧ (٤) سورة ق : ١٠

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٤ - ٤٥ ، والفقرة الأخيرة تشير الى ما رواه مسلم عن قطبة ابن مالك قال : صليتُ وصلّى بنا رسول اللّه ﷺ فقرأ : ﴿ ق ، وَالقُرآنِ المَجِيدِ ﴾ ، حتى قرأ : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ ، قال : فجعلت أرددها ولا أدرى ما قال ، والباسقات : الطوال ، والباسق : الذاهب طولاً من جهة الارتفاع ، ولم يكن هذا فى لُغة قبيلة قطبة بن مالك .

(٦) على بن أبى طالب بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ابن عم رسول اللّه ﷺ ، وُلدَ قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح ، وتربى فى حجر رسول اللّه ﷺ ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، وهو أحد رجال الشورى الذين نص عليهم عمر ، ورابع الخلفاء الراشدين ، قُتِلَ غيلة فى رمضان سنة أربعين من الهجرة (الإصابة ٢ / ٥٠١) .

(٧) عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول اللّه ﷺ ، وُلدَ قبل الهجرة بثلاث ، وقيل بخمس ، استجاب اللّه دعوة رسوله فيه : « اللّهم فقهه فى الدين وعَلِّمه التأويل » ، مات بالطائف سنة ثمان وستين (الإصابة ٢ / ٣٢٢) .

وفى رواية عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يُقرئ الناس بلُغة واحدة ، فاشتد ذلك عليهم ، فنزل جبريل فقال : « يا محمد ؛ أقرئ كل قوم بلغتهم » [1] .

فهذا يفيد نزول القرآن باللُّغات المعروفة عند العرب ، ولا يتبين من ذلك ما إذا كان المراد نزول القرآن بهذه اللُّغات فى المعنى الواحد حيث يكون هناك اختلاف فى اللَّفظ - وهو الرأى الأول - أو كان المراد نزول القرآن فى مجموعه بهذه اللُّغات ، فلا تخرج كلماته عنها - وهو الرأى الثانى .

وقد علّق ابن حجر [2] فى « الفتح » على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تعليقاً مجملاً فقال : « وهذه الأحاديث تُقَوِّى أن المراد بالأحرف اللُّغات ، أو القراءات ، أى أُنزِلَ القرآن على سبع لغات أو قراءات ، والأحرف جمع حرف ، مثل : فلس وأفلس ، فعلى الأول يكون المعنى على سبعة أوجه من اللُّغات ، لأن أحد معانى الحرف فى اللُّغة الوجه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [3] . وعلى الثانى يكون المراد من إطلاق الحرف على الكلمة مجازاً لكونه بعضها [4] .

ولعل الحافظ ابن حجر فى هذا يشير إلى الرأيين السابقين ، ويُعَبِّر عن الرأى الأول بقوله : « سبعة أوجه من اللُّغات » كأنه يعنى اتفاقها فى المعنى وإن اختلفت الألفاظ ، ويُعَبِّر عن الرأى الثانى بالقراءات ، باعتبارها كلمات متفرقة

---

(١) المرشد الوجيز ص ٩٦ - ٩٧

(٢) أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى أبو الفضل شهاب الدين بن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، له تصانيف كثيرة فى التراجم وعلوم الحديث وشرحه ، ولا سيما فتح البارى فى شرح صحيح البخارى - ت ٨٥٢ هـ (الأعلام ١ / ١٧٣) .

(٣) الحج : ١١

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٩ / ٢٤ ، المطبعة السلفية ومكتبتها .

من لغات سبع ، فيكون إطلاق الحرف على كل كلمة منها على سبيل المجاز ، من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

* * *

● تحديد اللُّغات السبع :

واختلف أصحاب هذين الرأيين فى تحديد اللُّغات السبع :

(أ) فقال أبو حاتم السجستانى [١] : نزل القرآن بلغة قريش ، وهذيل ، وتميم ، وأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر .

قال أبو على الأهوازى [٢] : سمعت أبا عبد الله محمد بن المعلى الأزدى [٣] بالبصرة يقول : سمعتُ أبا بكر محمد بن دريد الأزدى [٤] يقول : سمعتُ أبا حاتم سهل بن محمد السجستانى يقول : معنى سبعة أحرف : سبع لُغات من لُغات العرب ، وذلك أن القرآن نزل بلُغة قريش ، وهذيل ، وتميم ، وأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر [٥] .

---

(١) سهل بن محمد بن عثمان السجستانى ، إمام البصرة فى النحو والقراءات واللُّغة والعروض ، له ثلاثون كتاباً ونيف ، منها : المختصر فى النحو على مذهب الأخفش وسيبويه ، والأضداد ، توفى سنة ٢٤٨ هـ ، وقيل : ٢٥٠ هـ (انباه الرواه للقفطى ٢ / ٥٨) .

(٢) الحسن بن على بن إبراهيم بن يزداد ، مقرئ الشام فى عصره - ت ٤٤٦ هـ (ميزان الاعتدال للذهبى ، تحقيق على البجاوى ١ / ٥١٢ ، ط . دار المعرفة - بيروت) .

(٣) محمد بن المعلى بن عبد الله الأسدى ، أبو عبد الله الأزدى النحوى اللُّغوى ، كان حياً قبل سنة ٣١٥ هـ (بغية الوعاة ص ١٠٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١٢ / ٤٢ ط . دمشق) .

(٤) محمد بن الحسن بن دريد ، أبو بكر الأزدى اللُّغوى الشافعى ، يقال له : أشعر العلماء ، وأعلم الشعراء ، (ت ٣٢١ هـ) ، من تصانيفه : كتاب الجمهرة فى اللُّغة ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب غريب القرآن (انباه الرواة ٣ / ٩٢ ، وبغية الوعاة ص ٣٠) .

(٥) المرشد الوجيز ص ٩٣ ، ٩٤

واستنكر هذا القول ابن قتيبة [1] ، فيما نقله عنه ابنه ، محتجاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [2] : ما لم تكن هذه اللُّغات السبع فى بطون قريش .

قال أبو علىّ الأهوازى : سمعتُ أبا الحسن علىّ بن إسماعيل بن الحسن القطان [3] ، يقول : سمعت أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم [4] يقول : سمعتُ أبى يقول : عن أبى حاتم السجستانى - وهذا القول عظيم من قائله ، لأنه غير جائز أن يكون فى القرآن لُغة تخالف لغة قريش ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ إلَّا أن يكون القائل لهذا أراد ما وافق من هذه اللُّغات لغة قريش [5] .

ويؤيد هذا الاعتراض ما جاء فى حديث جمع القرآن الكريم فى عهد عثمان رضى الله عنه ، حين ندب لهذا الأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم [6] .

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أبو محمد ، من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين ، من كتبه : تأويل مختلف الحديث ، وأدب الكاتب ، وتأويل مشكل القرآن - ت ٢٧٦ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٣١٤) .

(٢) إبراهيم : ٤

(٣) على بن إسماعيل بن الحسن بن إسحاق ، أبو الحسن البصرى القطان ، المعروف بالخاشع ، توفى سنة ٣٩٠ هـ (غاية النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزرى ١ / ٥٢٦ ط . القاهرة) .

(٤) أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، قاض فقيه ، كان يحفظ كتب أبيه ، توفى بمصر سنة ٣٢٢ هـ (الأعلام ١ / ١٤٩) .

(٥) المرشد الوجيز ص ٩٤

(٦) من حديث رواه البخارى .

كما يؤيد هذا الاعتراض كذلك ما رُوِىَ من إنكار عمر رضى اللّه عنه على ابن مسعود قراءته : « عتى حين » أى : ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ [1] ، وكتب إليه : إن القرآن لم ينزل بلُغة هذيل ، فأقرئ الناس بلُغة قريش ، ولا تُقرئهم بلُغة هذيل ، أخرجه ابن عبد البر من طريق أبى داود [2] بسنده ، وذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة [3] .

وفى سُنَن أبى داود أن عمر كتب إلى ابن مسعود : أما بعد .. فإن اللّه تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ، فإذا أتاك كتابى هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، قال ابن عبد البر أبو عمر : ويُحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار ، لا أن الذى قرأ به ابن مسعود لا يجوز ، قال : وإذا أُبيح لنا قراءته على كل ما أُنزِل فجائز الاختيار فيما أُنزِل عندى ، واللّه أعلم [4] .

(ب) وقيل : نزل القرآن بلغة مُضَر خاصة ، وقال أصحاب هذا الرأى : هذه اللُّغات كلها السبع ، إنما تكون فى مُضَر ، واحتجوا بقول عثمان رضى اللّه عنه : نزل القرآن بلسان مُضَر ، ورُوِىَ نحوه عن عمر ، وعيَّنوا اللُّغات السبع من مضر فقالوا: جائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لتميم ، ومنها لضبة [5] . ومنها لقيس ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لُغات على هذه المراتب [6] .

---

(١) المؤمنون : ٢٥ ، ٥٤

(٢) سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو ، وقيل : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داود السجستانى ، الحافظ ، صاحب السُّنَن ، إمام أهل الحديث فى زمانه - ت ٢٧٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩) .

(٣) فتح البارى ٩ / ٢٧ (٤) المرشد الوجيز ص ١٠١

(٥) هو ضبه بن أدْ عم تميم بن مُرْ ، وفى بعض الروايات : تيم الرباب - والرباب : أحياء ضبة .

(٦) المرشد الوجيز ص ١٠١

ويرد على هذا الرأى كذلك ما استنكره ابن قتيبة ، وما ذكرناه آنفاً مما يساند اعتراضه .

كما يرد عليه أن فى مُضَر شواذ لا يجوز أن يُقرأ القرآن عليها ، مثل كشكشة قيس [١] ، وعنعنة تميم [٢] .

ويُجاب عن ذلك :

بأن معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [٣] إلا بلغة قومه ، وقومه هم العرب ، فالآية تشمل لغات العرب كلها .

وعن أيوب السختيانى [٤] أنه قال : معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ : أراد العرب كلهم .

قال أبو شامة : فعلى هذا القول لا يستقيم اعتراض ابن قتيبة على ذلك التأويل .

والمراد بقول عمر وقول عثمان رضى الله عنهما : أن القرآن نزل بلغة قريش ، أو بلسان مضر ، أن ذلك كان أول نزوله ، ثم كان التيسير بعد ذلك على العرب

---

(١) الكشكشة : لهجة ، يجعلون الشين مكان الكاف فى خطاب المؤنث ، فيقولون فى « عليك » و « منك » : « عليش » و « منش » أو يزيدون بعد الكاف المكسورة شيناً ، يقولون فى « عليك » : « عليكش » فكشكشة قيس ، يجعلون كاف المؤنث شيناً ، فيقولون فى : ﴿ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مريم : ٢٤) : « ربش تحتش » وعنعنة تميم ، يقولون فى « أن » « عن » فيقرؤن : « فعسى الله « عن » يأتى بالفتح » (المائدة : ٥٢) ، وبعضهم يبدل السين تاء ، فيقول فى « الناس » : « النات » وهذه لغات يُرغَب بالقرآن عنها .

(٢) عنعنة تميم : إبدالهم العين من الهمزة ويقولون : « عن » موضع « أن » .

(٣) إبراهيم : ٤

(٤) أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى ، أبو بكر البصرى ، من صغار التابعين ، توفى سنة ١٣١ هـ (تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٧) .

فجاز لهم أن يقرؤه بلغاتهم ، أما غير العربى فالأولى له أن يقرأه بلغة قريش لأفضليتها .

قال أبو شامة : « أشار عثمان رضى الله عنه إلى أول نزوله ، ثم إن الله تعالى سهّله على الناس ، فجوّز لهم أن يقرءوه على لُغاتهم على ما سبق تقريره ، لأن الكل لُغات العرب ، فلم يخرج عن كونه بلسان عربى مبين .

وأما مَن أراد من غير العرب حفظه فالمختار له أن يقرأه على لسان قريش ، وهذا إن شاء الله تعالى هو الذى كتب فيه عمر إلى ابن مسعود رضى الله عنهما : « أقرئ الناس بلغة قريش » لأن جميع لُغات العرب بالنسبة إلى غير العربى مستوية فى التعسر عليه ، فإذاً لا بد من واحدة منها ، فلغة النبى ﷺ أولى له ، وإن أُقرئ بغيرها من لغات العرب ، فجائز فيما لم يخالف خط المصحف ، وأما العربى المجبول على لغة فلا يُكلّف لغة قريش لتعسرها عليه ، وقد أباح الله تعالى القراءة على لُغته ، والله أعلم » [1] .

(جـ) وقيل : اللُغات السبع ، خمس منها فى هوازن : لسعيد ، وثقيف ، وكنانة ، وهذيل ، وقريش - أو ثقيف ، وبنى سعد بن بكر ، وبنى نصر بن معاوية ، وبنى جشم ، ولغتان على جميع ألسنة العرب ، وتخصيص لغات هوازن لقربهم وجوارهم من منزل الوحى .

قال الأهوازى : وقال بعضهم : خمس منها بلغة هوازن ، وحرفان لسائر لُغات العرب ، وقد كان رسول الله ﷺ رُبِّىَ فى هوازن ، ونشأ فى هذيل .

وقال أبو القاسم الهذلى [2] فى كتابه « الكامل » نقلاً عن أبى عبيد : وقيل : خمس لُغات فى أكناف هوازن ، لسعيد ، وثقيف ، وكنانة ، وهذيل ، وقريش .

---

(١) المرشد الوجيز ص ١٠٢

(٢) يوسف بن على بنت جبارة البكرى أبو القاسم الهذلى ، مقرئ نحوى ، عالم بالقراءات والعربية ، كان ضرير البصر ، له تصانيف فى القراءات وغيرها ، منها « الكامل » فى القراءات ، توفى سنة ٤٦٥ هـ (غاية النهاية ٢ / ٣٩٧) .

قال ابن عبد البر : وقد روى الأعمش [١] ، عن أبى صالح [٢] ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، صار فى عجز هوازن منها خمسة .

قال أبو حاتم : عجز هوازن : ثقيف ، وبنو سعد بن بكر ، وبنو جشم ، وبنو نصر بن معاوية ، قال أبو حاتم : خص هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبى ﷺ ، ومنزل الوحى ، وإنما مضر وربيعة أخوان ، قال : وأحب الألفاظ واللُّغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش ، ثم أدناهم من بطون مُضَر .

وروى الكلبى [٣] ، عن أبى صالح عن ابن عباس قال : « القرآن على سبع لُغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن » .

قال أبو عبيد : والعجز هم : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية، وثقيف ، وهذه القبائل هى التى يقال لها : عليا هوازن ، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء [٤] : أفصح العرب عليا هوازن ، وسفلى تميم ، فهذه عليا هوازن ، وأما سفلى تميم فبنو دارم ، فهذه سبع قبائل [٥] .

---

(١) سليمان بن مهران الأسدى بالولاء ، أبو محمد الكوفى الملقب بالأعمش ، تابعى مشهور ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض - ت ١٤٨ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٢) .

(٢) باذان أبو صالح ، مولى أم هانئ بنت أبى طالب ، قال ابن معين : ليس به بأس ، وإذا روى عنه الكلبى فليس بشئ . (تهذيب التهذيب ١ / ٤١٦) .

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبى أبو النضر الكوفى ، عالم بالتفسير وأنساب العرب ، كان يكذب فى رواية الحديث ، وحُكِىَ الإجماع على ترك حديثه - ت ١٤٦ هـ (تهذيب التهذيب ٩ / ١٧٨) .

(٤) زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمى المازنى أبو عمرو البصرى ، أحد القرّاء السبعة ، توفى سنة ١٥٤ هـ (غاية النهاية ١ / ٢٨٨ ، وبُغية الوعاة ص ٣٦٧) .

(٥) انظر المرشد الوجيز ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ .

(د) وقيل : إن اللُّغات السبع ترجع إلى كعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة لتجاورهما فى المنزل .

قال أبو عبيد : وكذلك يُحَدِّثون عن سعيد بن أبى عروبة [1] ، عن قتادة [2] ، عمن سمع ابن عباس يقول : أُنزل القرآن بلغة الكعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة .

قال أبو عبيد : يعنى أن خزاعة جيران قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وقال أبو شامة : والكعبان : كعب بن لؤى من قريش ، وكعب بن عمرو من خزاعة .

* * *

● وجه تخصيص لغات تلك القبائل :

وقد أوضح ابن عطية وجه تخصيص لُغات تلك القبائل فقال : « فأصل ذلك وقاعدته قريش ، ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبى عليه السلام قرشى ، واسترضع فى بنى سعد ، ونشأ فيهم ، ثم ترعرع وعقت تمائمه وهو يخالط فى اللِّسان كنانه ، وهذيلاً ، وثقيفاً ، وخزاعة ، وأسداً ، وضبة ، وألفافها لقربهم من مكة ، وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تميماً ، وقيساً ، ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب ، فلما بعثه اللّه تعالى ويَسَّرَ عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة ، وهى التى قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهى اختلافاتها فى العبارات حسبما تقدم .. وهذه الجملة هى التى انتهت إليها

---

(١) سعيد بن أبى عروبة العدوى ، أبو النضر البصرى ، إمام أهل البصرة فى زمانه ، تغيَّر مذهبه بآخر عمره ، ورُمِىَ بالقدر - له مؤلفات ، توفى سنة ١٥٦ هـ على خلاف (تهذيب التهذيب ٤/ ٦٣ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٨٧) .

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى ، البصرى الضرير الأكمه ، حافظ مفسر عالم بالعربية - ت ١١٨ هـ (غاية النهاية ٢ / ٢٥ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١) .